السراب

شعر : جمال غمبار

ترجمة : كمال غمبار

"الأول"
لليلة واحدة
حين يتوقف نهر زمنك . . .
لليلة واحدة .
حين تطلب روحك المتصدعة .
قطرة قصيدة .
هذه الشوارع دامسة .
الكلمات فيها دون سراج . وقنديل . . !
لتلك الليالي اللئيمة . . .
لتلك اللحظات والثواني
انت فيها بلا خبز .
بلا جيوب .
بلا هوية .
بلا امرأة !

توسد دمعة
لم تذرفها اية عين هذي الدنيا .
وانفضت أوراق انفاسك الصفراء
لأمطار لم تمطر
تحت الغلاف الجوي .
لهذه الأرض العاجة
بالاثام !
فيا أيها السراب . .
ياوسع روحي الأزرق
جنتك جناح ثقل ظمأ
الأمس الأبيض
واليوم الأسود
وغد عمري الأحمر

إما أن تخنق يوما واحدا وحده . .

لطريقي هذا .
أو أشرب كل جسدك الأزرق
كلهم عدوي
بجرعة واحدة . . !

أيها السراب . ياعيون البحار
مررت بهذا المزار .
كان زاد سفري بعض وسن مثقل .
غابت عن نظراتي الأنوار . . !
«أجراس البيداء
تقطرت من أذني الى عينيّ
فتّحت في الجفون . . »
ماذا أرى ؟ !
كنت من بعيد سرابا . في عينيّ
وحين وصلت فوق صدرك
ماذا أرى هذه المرة ؟ !
لم تكن محض سراب
لم تكن مجرد لون كاذب
لم تكن مجرد تضارب الأفق الأزرق
وحافة الأرض فحسب
«بل كنت خرا
علمتني الغرق»
ياخرا
تنطق كمدينتي .
بلسان الثلج والعاصفة
كبقعة دلب محروقة
لا يشملك طائر .
لايمد منقاره الى قطرة فيك

ياخرا
تحمل غضب امواجك العاتية
شطر اياد متشققة
لأرض تبتلعك
« . . . . !
« . . . !
ياخرا
إن لم تمتلك رهبة البحر
لست أدري ماذا اسميك ؟

«الثاني»

أقبلت ومنحتني معطفاً
والوقت لم يزل يطوي الطريق
من وراء جبل الأماسي
الماثلة فوق رأسي . .
كان المكان شارعا مبللاً
قبلتها وافترقنا . .
وفي الغد .
قطع صوت المطر
زجاج نافذتي . . .
بلغ النبأ بيتي .
لقد شمّ هذه الليلة . رجل رائحة الموت . . !
لقد ولج عيني «مريم»
من خلل اللوحة المعلقّة .
على حائط غرفته الموحشة .
لقد رأى «عيسى» في طفولته . .
هذه الليلة عاد رجل الى طفولته
لقد مسح دموعه
في احضان مريم . . !

اقبلت فأهدتني معطفا
من ثنايا جيبها في الجانب الايسر .
عينان قهوائيتان
متيقظتان .
حملت اليك هذي العيون
من الممر الرطب للبالي العارية
تحدث اليها
يحملن رسالة
اقرأها :
«رفيقي . . أيها السراب
طاب وقتك
عيناي هاتان تركتا جثتي
وجاءتا الى موطن قلبك . .
وهذا المعطف روحي فارتده
فها أن رائحة موتي
في هذا الليل الكالح
جعلتني في دوار !
اني لفي عجل لأستجمع
ركام جسدي .
أموت هذه الليلة
ولكن حذار ان تنسى
عيني البنيتين ومعطفي !
اموت هذه الليلة
وأنا في رحلتي البعيدة هذه المرة .
احمل لأحياء الدنيا البيضاء
الراية المتهرئة لعدم اخر . .
اموت
هذه الليلة . . !)
يارفيقي السراب . .
فها أن لهيب الموت الان
يأكل بيدر عمري .
ومن الكهف الخالي من التنفس في جانبي هذا .
فها ان جحافل السود للتتر
تنهال على جسد امرأة . .
وهي على قنطرة التردد المنهارة
تساورها الشكوك . وهي لاتدري .
اتمسح عرق الغضب في
أفياء صرخة .
ام تطبق جفون السكينة
تحت سياط اللذة !
يارفيقي السراب .
فاني اموت ولن
أكمل اخر سطور رسالتي .

«الثالث»

فها ان الموت قبل
ايادي رجلين وإمرأة .
وانا بين عينين ومعطف .
ملك . ومملكتي بكاء . . !
كيف ادع احداً . أن يدخل
حدودي . دون جواز سفر .
ظاناً لحد الان .

ان ورود الدموع .
تنمو تحت ظلال أهداب
المرأة وحدها .
في أصيص البكاء . . !

---

(١) مجلة كاروان العدد ٦٤ مايس ١٩٨٨